

النبي إبراهيم ليس له بيت في أور

حزمة أكاذيب لرسم خرائط جديدة وتأسيس سرديات التوراة



زيارة لأهداف دينية

في النهاية بان ذلك الوقت لم يحن قط لا بد من الإشارة إلى أن البعثات التنقيبية في مطلع القرن العشرين كانت تُسَوَّل جزئياً من قبل جمعيات دينية وكثيرة لرغبتها في تاصيل القصص الواردة في النصوص. وربما كان مخيلاً لآمال البعض منهم، بعد نجاح الأثريين في فك وتحليل وترجمة النصوص المسماة، أنها أثبتت حصول اقتباس مباشر وحرفي في بعض الأحيان للكثير من الأساطير العراقية القديمة وتضمينها في كتب أحبار اليهود، ومنها إلى العقائد القدسية الأخرى، وليس العكس كما كان مؤملاً.

يقول الباحث عامر الجميلي من كلية الآثار في جامعة الموصل، وهو من الباحثين المهتمين بالتراث الثقافي، "لا أعتقد جازماً بأن مدينة أور العراقية القديمة هي المدينة المفترضة مسقطاً لرأس النبي إبراهيم، لأنني أعتمد على المصادر لكي أبنى يقيناً، لكنني شخصياً، بوصفي باحثاً في علم الآثار واللغات القديمة ومهتماً بتاريخ العراق والمنطقة وتراثها الثقافي، لا أعتقد جازماً بأن الدار أو مجموعة الدور في مدينة أور العراقية القديمة، والتي يجري تسويقها على أنها كانت سكنى للنبي إبراهيم، الوارد ذكره في الكتاب المقدس، هي بالفعل كذلك".

ويضيف "لم تصلنا أدلة كتابية وأثرية من بلاد الرافدين تؤيد الأحداث التي وردت في الكتاب المقدس عن شخصية باسم إبراهيم، لكنني أظن أن شخصية كهذه، إن كانت قد عاشت، فلربما تكون في منطقة أورفة أو الرها - حران، وهي مدينة لها مشتركات كثيرة مع مدينة أور العراقية القديمة من جهة الاسم، وكذلك انتشار عبادة إله القمر "سين"، والأهم هو الامتداد الجغرافي المرتبط بشمال إقليم حلب، إضافة إلى المشتركات اللغوية والثقافية، ما يجعل إمكانية تحقق رحلة منها إلى المسار الذي ورد في العهد القديم أمراً مقبولاً، أضف إلى ذلك وجود خامة الحجارة والرخام في حران وأورهاي جنوب شرقي تركيا وانعدامها في أور (المكسر) في جنوب العراق، لأن التقليد المحلي والمأثورات تشير إلى أن أبيه (أزر) الوارد في النص القرآني) كان نحاساً.

ويعتقد الباحث مؤيد سعيد الدامرجي، الذي كان رئيساً للمؤسسة الأثرية العراقية لعقدين من الزمن (1977 - 1998)، أن قصة عائدة الدار المنسوبة إلى النبي إبراهيم في مدينة أور الأثرية في محافظة ذي قار غير دقيقة، وأن المنشأ الحالي المزعم قد جرى بناؤه من الإسمنت والطابوق تزامناً مع زيارة البابا السابق يوحنا بولص الثاني في عقد التسعينات من القرن الماضي، والذي كان يعتزم زيارة أور أيضاً، وكانت الغاية تسويق فكرة المدينة كمسقط رأس للنبي إبراهيم، ومن خلال ذلك تجري حلحلة موضوع الحصار المفروض على العراق بتوظيف نقل الفاتيكان في الدوائر السياسية الغربية آنذاك.

إليه، لكي لا يجري تثبيت بعض الوقائع الملتبسة على الخرائط، ويتحول مبنى عادي إلى محج ديني مقدس، وربما يتجاوز الأمر ذلك بعد كذا عقد من الزمان ليحري اعتبار منطقة "سهل أور" برمتها جزءاً من ثوابت السرديات الدينية، وما قد يترتب عليها من تغييرات ديموغرافية وسياسية.

مفالات تاريخية

في شتاء عام 2010 التقت عالم الآثار الراحل العراقي بهنام أبو الصوف في عمّان، وكنت حينها أقوم بجمع مقالاته وبجوته لنشرها في موقعه الإلكتروني الذي كنت بصدد إطلاقه، ومن ضمن الحوارات عرّجنا على موضوع دار النبي إبراهيم في أور، فقال "ليس هنالك أي دليل أثري على أن الدار التي تقع على بعد بضعة مئات الأمتار من زقورة أور هي دار النبي إبراهيم، الوارد ذكره باسم "إبراهيم" في العهد القديم، وإنما يرقى أصل هذه الدار إلى العصر الحضاري العراقي القديم الذي يُطلق عليه "عصر إيسن/ لارسا"، ويمتد تقريباً من عام 2025 إلى 1730 ق.م. والذي ظن وولي حينها أن إبراهيم لا بد أن يكون قد عاش في هذه البيئة".

عدت إلى مذكرات الأثري البريطاني ماكس مالوان (زوج الروائية الإنجليزية أغاثا كريستي)، لأجد أن الالتباسات في التصريحات كانت السبب في هذا الموضوع الذي ترسّخ، على نحو خاطئ، في وعي عامة الناس. إن ما أورده مالوان عن خبير النقوش، آنذاك، الذي صاحب بعثة المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا الأميركية في عشرينيات القرن الماضي حين قرأ خطأ ما ظن أنه اسم "إبراهيم"، قد ورد تفصيله في تلك المذكرات (منشورات الجمل، ص 67)، ومفاده أنه (أي مالوان) قد تسرع وقتها في الإبراق إلى صديق له في إنجلترا ونكر الاكتشاف، وحين علم مدير البعثة وولي بالأمر ويخ مالوان بشدة، وجعله يبعث برقية ثانية إلى الصديق ذاته يلتمس منه فيها الصمت حتى يحين وقت إعلان النبأ، ويعترف



حضارة عريقة تواجه السرديات التلقيفية

كامارينيا هو أيضاً اسم لمدينة قديمة في جزيرة صقلية. إن توصيف أور بالكلدانية ربما يتفق مع حقيقة أن أسلاف إبراهيم كانوا من عبدة القمر، وقد وردت هذه الفكرة على أساس احتمال كون اسم والد إبراهيم الوارد في التوراة هو (تارح أو تيراح) والمرتبط بالاسم العبري للقمر (ي-ر-ح)، من الجذر الأكدي "أرخ" وتعني شهر والذي هو الأصل في كلمة "تاريخ".

على أي حال، فإن التراث اليهودي يذكر أن تيراح كان بعيد عدداً من الآلهة، ربما كان من بينها "إيل"، وأن ما قد حصل من اضطرابات كان بسبب الخلافات بين كهنة الإلهين "سين" و"إيل"، ويبدو أن عبادة القمر "سين" هي التي انتصرت في النهاية، فما كان من عبدة "إيل" إلا الهجرة شمالاً، ولكن الحجة في هذا الخصوص لا تزال ضعيفة.

فكرة مدينة أور كمسقط رأس للنبي إبراهيم سوق لها المنقبون ودعمها النظام العراقي السابق لأسباب سياسية

من الجدير بالذكر أن اللقب الذي يُعْرَن بالنسبة إبراهيم هو "خليل الله"، وهو من الجذر اللغوي الأكدي (خيل إيل) ويعني (الذي صادق الله وأخلص له).

ولكي يجري الفصل التام بين الرغبة في تطوير الموقع الأثري في أور، المدرج على لائحة اليونسكو للمواقع التراثية العالمية عام 2016، وبين زيارة شخصية بوزن الحبر الأعظم إلى موقع كهذا، فإن الدعم الإعلامي ينبغي أن يركز على تنشيط السياحة الأثرية، وتعميم المعرفة بتاريخ العراق الحضاري، ولكن يجب ألا تغير زيارة كهذه من ثوابت علم الآثار وحقائق التاريخ على الأرض، ومن أجل ذلك فقد أجرينا استطلاعاً لآراء أثريين ومؤرخين عراقيين غابته التحقق من موضوع نسبة النبي إبراهيم إلى مدينة أور العراقية، وأيضاً رأيهم في الدار المنسوبة

لبس واضح، وهذا يثبت أن عملية تدوين التوراة، أو تواردها قصصها شفاهاً قد جرى خلال عصر الدولة البابلية الثانية (الكلدانية)، أي بعد الترحيل الثاني لليهود فلسطين عام 583 ق.م على يد الملك البابلي العظيم نبو كودوري أوصى الثاني (نبوخذ نصر في التوراة)، في حين أورد المدونون التوراتيون أن إبراهيم عاش خلال النصف الأول من الألف الثاني ق.م في عصر الدولة البابلية الأولى (الأمورية - دولة حمورابي).

لسدى وولي، وحاول مسك العصا من الوسط من خلال توظيف تعابير لغوية تحتل أوجه قراءة مختلفة، وهو أمر ربما يُفسّر على أنه اتقاء لنشر الاختلاف مع الجمعيات الدينية التي كانت قد ساهمت في تمويل جزء من حملاته التنقيبية في مدينة أور السومرية العراقية القديمة. نشرت العديد من البحوث والدراسات والكتب عن الموضوع في الغرب، وجرى تحري الحقيقة بأدوات البحث العلمي، التي تطرح وجهات نظر جديدة بالاعتبار، ولكن لا يزال هنالك نوع من مسابرة أيديولوجية دعماً لمدراس تقليدية عقائدية في الرأي، تحاول إحالة عائدة الدار السكنية، التي حددها وولي، إلى الشخصية الدينية الوارد ذكرها في العهد القديم باسم "إبراهيم"، واعتبارها مسقط رأسه، ولمسرح السردية التي وردت في إصحاحات سفر التكوين، والتي يرقى أقدم زمن لتدوينها إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، إذ شرع الكتبة اليهود المرخّلون في بابل بتدوين سرديات جُمعت تحت مسمى "الكتاب المقدس"، وقد استكمل العمل بعد عودة قسم آخر منهم إلى فلسطين، إثر منحهم الإذن بالعودة من قبل الملك الفارسي الأخميني كورش، الذي احتل مدينة بابل عام 539 ق.م.

فلو أن التاريخ المفروض لحضور النبي إبراهيم على مسرح الأحداث هو ما بين القرنين التاسع عشر والسابع عشر ق.م، بحسب مؤرخي العهد القديم، فإن هذا سيترك مساحة زمنية تتجاوز الخمسة عشر قرناً تقريباً بين الزمن المقترض للشخصية وما يرد عنها تدوينها في سفر التكوين، إذ لا بد أن تناقل الأحداث قد جرى شفاهياً، مع الأخذ بعين الاعتبار تبدل اللغات والأسس، بل وحتى المواقع الجغرافية وأسماء الأماكن، ما سيشكل لبساً للباحثين كما سيجري عرضه لاحقاً.

مدينة أور (الكلمة مشتقة من الأصل السومري أوريم والأكدي أورو وتعني مدينة)، ذكرت في العهد القديم تحت مسمى "أور الكلدان" وهو مسمى فيه لبس واضح، وهذا يثبت أن عملية تدوين التوراة، أو تواردها قصصها شفاهاً قد جرى خلال عصر الدولة البابلية الثانية (الكلدانية)، أي بعد الترحيل الثاني لليهود فلسطين عام 583 ق.م على يد الملك البابلي العظيم نبو كودوري أوصى الثاني (نبوخذ نصر في التوراة)، في حين أورد المدونون التوراتيون أن إبراهيم عاش خلال النصف الأول من الألف الثاني ق.م في عصر الدولة البابلية الأولى (الأمورية - دولة حمورابي).

كانت أور مدينة سومرية مقدسة لإله القمر (نانا أو نثار بالسومرية، وسين بالأكدية)، ومن أسمائها الأخرى "قامارينيا"، ويُعتقد أنه مرتبط بالكلمة العربية "قمر"، مع أن

زار بابا الفاتيكان فرنسيس مدينة أور بمحافظة ذي قار العراقية، في رحلة اعتبرت تاريخية لشخصية دينية كبيرة إلى أقدم وأعرق المدن في تاريخ البشرية، وقد جرى تعريف المبادرة في برنامج الزيارة الرسمي، بأنها "حضور تجمّع للاديان في سهل أور". وفيما رأى البعض أن الزيارة غير المسبوقة هي "رسالة تضامن" مع المسيحيين والإيزيديين في العراق، رأى آخرون أنها "رسالة مصالحة" وسلام مع الطوائف الأخرى، بينما ما كان خافياً أبعد من هذا بكثير.

الطابوق الفني الحديث، الإسمنت ومواد حديثة أخرى في بناء هذا البيت، قد نزع صفة القدم عن الأثر وسماهته التاريخية.

لقد شكّل هذا البيت، بكل إشكالاته التاريخية والفنية، مشكلة وعقبة فنية كبرى واجهت محاولات قبول ملف مدينة أور من أجل وضعها على لائحة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو، بوصفها محمية تراثية عالمية، فقد اعتبر البيت في حالة "صيانة غير علمية وإضافة غير مدروسة". إن البناء الجديد (البيت) قد أقيم على مساحة واسعة (حوالي 2200 متر مربع)، في منطقة لم يشملها التنقيب سابقاً، وقد أحدث بناؤه استياء مدوي في الأوساط الأثرية العالمية التي شجبت واستنكرت المساس بتراث مدينة أور، لأغراض واجندات سياسية.

كان المنقب البريطاني السير تشارلز ليونارد وولي (1880-1960) قد أشار في أحد تقارير بعثته التنقيبية (تراث البعثة

لاثني عشر موسماً من عام 1922 إلى 1934) إلى أن خبير النقوش والكتابات في البعثة قد ترجم رقياً مسمارياً عُثِر عليه في إحدى الدور السكنية تبعد مئات الأمتار عن الزقورة، وجرى تعريف الموقع في تقارير وولي بالرمز "AH" اختصاراً لعبارة "بيت إبراهيم" بالإنجليزية (Abraham House)، وتدوين اسم "إبراهيم" عليه، كما عُثِر على تمثال لكيش مزخرف، ربما كان قاعدة لطاولة في غرفة ملكية أو في معبد، جرى ربطه بكبش التضحية الوارد في قصة النبي إبراهيم.

ويظهر من خلال تسلسل الأحداث أن وولي سرعان ما أبق إلى مموله من المتاحف والجامعات والجمعيات التوراتية حول هذا الكشف الجبهر، وهو أمر جرى حوله الكثير من اللغظ في الأوساط الأثرية، وتم تفنيد هذه الترجمة، بل والموضوع برمته لاحقاً. وفي كتابه المعنون "النبي إبراهيم"، الذي صدر عام 1936، تغيرت نبرة اليقين المتعلقة بالأمر

ويظهر من خلال تسلسل الأحداث أن وولي سرعان ما أبق إلى مموله من المتاحف والجامعات والجمعيات التوراتية حول هذا الكشف الجبهر، وهو أمر جرى حوله الكثير من اللغظ في الأوساط الأثرية، وتم تفنيد هذه الترجمة، بل والموضوع برمته لاحقاً. وفي كتابه المعنون "النبي إبراهيم"، الذي صدر عام 1936، تغيرت نبرة اليقين المتعلقة بالأمر

ويظهر من خلال تسلسل الأحداث أن وولي سرعان ما أبق إلى مموله من المتاحف والجامعات والجمعيات التوراتية حول هذا الكشف الجبهر، وهو أمر جرى حوله الكثير من اللغظ في الأوساط الأثرية، وتم تفنيد هذه الترجمة، بل والموضوع برمته لاحقاً. وفي كتابه المعنون "النبي إبراهيم"، الذي صدر عام 1936، تغيرت نبرة اليقين المتعلقة بالأمر

ويظهر من خلال تسلسل الأحداث أن وولي سرعان ما أبق إلى مموله من المتاحف والجامعات والجمعيات التوراتية حول هذا الكشف الجبهر، وهو أمر جرى حوله الكثير من اللغظ في الأوساط الأثرية، وتم تفنيد هذه الترجمة، بل والموضوع برمته لاحقاً. وفي كتابه المعنون "النبي إبراهيم"، الذي صدر عام 1936، تغيرت نبرة اليقين المتعلقة بالأمر

ويظهر من خلال تسلسل الأحداث أن وولي سرعان ما أبق إلى مموله من المتاحف والجامعات والجمعيات التوراتية حول هذا الكشف الجبهر، وهو أمر جرى حوله الكثير من اللغظ في الأوساط الأثرية، وتم تفنيد هذه الترجمة، بل والموضوع برمته لاحقاً. وفي كتابه المعنون "النبي إبراهيم"، الذي صدر عام 1936، تغيرت نبرة اليقين المتعلقة بالأمر

ويظهر من خلال تسلسل الأحداث أن وولي سرعان ما أبق إلى مموله من المتاحف والجامعات والجمعيات التوراتية حول هذا الكشف الجبهر، وهو أمر جرى حوله الكثير من اللغظ في الأوساط الأثرية، وتم تفنيد هذه الترجمة، بل والموضوع برمته لاحقاً. وفي كتابه المعنون "النبي إبراهيم"، الذي صدر عام 1936، تغيرت نبرة اليقين المتعلقة بالأمر

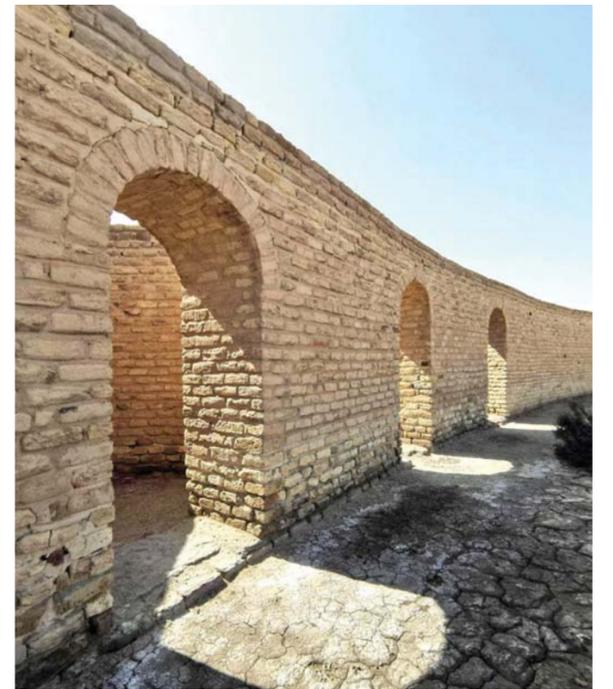
عبد السلام صبحي طه
كاتب من العراق

كان لزيارة البابا إلى مدينة أور طابع ديني وليس ثقافياً - سياحياً، كما كنا نأمل، لزيادة الوعي بالمدينة وتاريخها ومنجز أهاليها القدامى. وعلى ما يبدو إن لهذه الزيارة سجلاً أبعد من ذلك، ويرقى إلى عام 1999، حين أعلن الفاتيكان عن نية البابا يوحنا الثاني زيارة العراق، ومدينة أور على وجه التحديد. كان العراق حينها يرزح تحت عقوبات دولية قاسية، وقد حاولت الحكومة العراقية آنذاك استثمار الزيارة سياسياً من باب استغلال نقل الفاتيكان لأجل التخفيف من تلك العقوبات أو ربما رفعها، ولعله لم يحصل اتفاق بين الطرفين، ما حدا بالحكومة العراقية إلى تعليق الزيارة.

الحزن في الأمر أن السلطات الأثرية في العراق آنذاك، ممثلة بهيئة الآثار التي كان يرأسها ربيع القيسي، وربما بالتنسيق مع وزارة الثقافة والإعلام التي كان يرأسها آنذاك د. همام عبدالخالق، كانت قد شرعت في أعمال إعمار وترميم سريعة لم تُراع فيها الضوابط والسياقات المتعارف عليها في أعمال الترميم والصيانة الأثرية، وقد جرى اختيار بنايات في زاوية من منعطف على زقاقين تبعد مسافة 300 متر تقريباً عن الزقورة، كانت مجتمعة يضم مدرسة ومعبد صغيراً، كما جرى تخطيط المشفى لتسهيل سير الزوار، وأطلق على هذه الدار "بيت النبي إبراهيم".

بيت إبراهيم

إن صيانة أو ترميم أي مبنى أثري أو تراثي يجب أن تتم باستعمال مواد بناءية من نوعية ومواصفات مواد البناء الأصلية نفسها، وفي هذه الحال فإن استخدام



ترميم غير علمي



بيوت قديمة في مهب السياسة